قراءة نقدية في ومضة "هدية" لهيفاء حمودة

د. جمال الجزيري

أتناول في هذه المقالة ومضة "هدية" التي نشرتها الكاتبة السورية هيفاء حمودة على مجموعة سنا الومضة القصصية في مارس 2016، ونُشرت ضمن الكتّاب المجمّع لومضات أعضاء مجموعة سنا الومضة في فبراير ومارس وبداية أبريل 2016 بدار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني بعنوان "نداء حياة[8]". وها هو نص الومضة:

هدية

بفرح، الأجساد الصغيرة تلف حول نفسها، رصاصة غادرة تخترق الدائرة، يصمت الغناء.

[8] هيفاء حمودة. "6 ومضات قصصية". نداء حياة: ومضات قصصية. إعداد: د. جمال الجزيري. دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني: ط1، أبريل 2016. ص 40-41. رابط تحميل الكتاب:
http://www.mediafire.com/download/kpg0cgpq67pgff6/%D8%A3%D8%B9%D8%B6%D8%A7%D8%A1_%D9%85%D8%AC%D9%85%D9%88%D8%B9%D8%A9_%D8%B3%D9%86%D8%A7_%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%85%D8%B6%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B5%D8%B5%D9%8A%D8%A9%D8%8C_%D9%86%D8%AF%D8%A7%D8%A1%D9%8F_%D8%AD%D9%8A%D8%A7%D8%A9%D9%8D%D8%8C_%D9%88%D9%85%D8%B6%D8%A7%D8%AA_%D9%82%D8%B5%D8%B5%D9%8A%D8%A9%D8%8C_%D8%B71%D8%8C_%D8%A3%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D9%84_2016.pdf

obeikandl.com

8 مارس 2016

ومضة "هدية" ومضة جيدة ومكثفة تلتقط لنا لقطة لافتة ومزدوجة، فتسلط الراوية الضوء أولا على لعب الأطفال أو رقصهم أو دورانهم حول بعضهم في لعبتهم، وتقدم الراوية كل ذلك بكلمة "بفرح" التي تنقل لنا حال الأطفال أثناء لعبهم. ثم تنتقل الراوية إلى اللقطة الثانية التي تتداخل وتتزامن مع اللقطة الأولى لتقلب اللقطة الأولى رأسا على عقب، فالرصاصة تحوّل فرح الأطفال إلى موت أو مأتم، الأمر الذي يبرز حالة الفرح الأولى وينفيها، وكأن الفرح الذي كان يتسيد المشهد لا له أن يدوم، وكأن الرصاصة تستهدف هذا الفرح ذاته وتريد أن تحرم الأطفال من براءتهم وربما من حياتهم مبكرا.

ومن هنا تحافظ الومضة على وحدة الزمن ولحظيته في النص، كما تركز على لقطة دالة تقوم على المفارقة التلقائية غير المفتعلة، فكثيرا ما نرى أو نشاهد أو نقرأ هذه الأيام عن

obeikandi.com

حالات مثل هذه وكأن حياتنا تحولت إلى عبث وكأن المستهدف هو مستقبل أوطاننا.

ومن وجهة نظري لا ضرورة لاستعمال الجملة الأخيرة – يصمت الغناء – لأنها لا تضيف جديدا ودلالتها يمكن استنباطها من التركيز على الفرح في بداية الومضة ثم استهداف الرصاصة لهذا الفرح. فالنصوص القصيرة بوجه عام مثل الومضة القصصية وقصيدة الهايكو والومضة الشعرية لا تحتمل العبارات التفسيرية أو العبارات الشارحة أو الإسراف اللغوي، لأنها تقوم على الإيحاء والإضمار والحذف الدال إلى حد كبير، وبالتالي مادامت الدلالة يمكن الإيحاء بها أو استنباطها من تركيبات أو صياغات أو مفردات أخرى في النص، فلا حاجة إلى التصريح بها وذكرها في وحدة لغوية مستقلة، وإلا سيتحول الأمر إلى تبديد للثروة اللغوية وإسراف سيكون ضرره أكثر من نفعه.

كما أن كلمة "غادرة" لا تحتملها الومضة هنا، لأنها لا تنتمي إلى منظور الأطفال ولا تنتمي إلى المنظور الخارجي

الذي تستعمله الراوية. بمعنى أن وصف الغدر هنا نابع من شخص كبير ولا ينتمي لمفردات الأطفال ولا لرؤيتهم للحدث، لأنهم مندمجون في الحدث ولا يخرجون منه إلا على الفاجعة التي تصيب أحدهم أو بعضهم وتبدد فرحهم جميعا.

كما أن الراوية هنا راوية غير مشاركة، وبالتالي ليس أمامها إلا خياريان: الخيار الأول يتمثل في نقل الحدث من الخارج كما لو كانت ترصد الحدث بكاميرا أو كما لو كان هناك ملاحظ محايد يرى ما يحدث وينقله لنا بنفس الحيادية دون أن يفرض تقييماته عليه. أما الخيار الثاني فيتمثل في نقل رؤية الشخصية أو الشخصيات للحدث، أي الالتزام بالمنظور الداخلي للشخصية وتقديم الحدث كما لو كنا نراه بعيون الشخصية. والخيار الثالث يتمثل في المزج بين الخيارين، فتقدم لنا الراوية جزءا من الحدث بعين الشخصية وجزء آخر بعين الملاحظ الخارجي الذي لا يملك الحق في التقييم أو التفسير لأن الحدث لا يخصه.

obeikandl.com

بعد نشر المسودة الأولى لهذه المقالة على مجموعة سنا الومضة القصصية، قامت الكاتبة بإعادة صياغة الومضة، وها هي بعد إعادة صياغتها.

الصياغة الجديدة

هدية

بفرح، الأجساد الصغيرة تلف حول نفسها، رصاصة تخترق الدائرة.

12 مارس 2016

obeikandl.com